آدم

أول إنسان خلق في الدنيا ، فهو الإنسان الأول ، وهو أبو الخلق أجمعين .خلقه الله من طين ، ولا غرابة في أن يكون الإنسان بلحمه وعظمه ودمه مخلوقًا من طين ، فالنبات بحلوه ومره ، ينبت شجرةً في الطين .

والله القادر ، خلق الملائكة من النور ، وخلق الجن من النار .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء الآية ٧٠)

وكان تكريم الله لآدم ، أن أمر الملائكة أن يسجدوا له ، وليس سجودُهم عبادةً لآدم ، وإنما هو اعترافٌ منهم بأن الله شمله برعايته وتكريمه

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾

(الإسراء الآية ٦١)

طاعةً لأمر الله ، وتكريمًا لإنسانٍ خلقه الله .

ولكن الكِبَر والغرورَ مَلآ إبليس ، فأبىَ أنْ يطيع الله ، واستكبر أن يسجد لمخلوقٍ من تراب .

فسأله ربُّه ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (ص الآيتان ٧٥ ، ٧٦)

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً

﴿ مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ ﴾

(الإسراء : الآيات ٦٢-٦٥)

وركب إبليسُ رأسَه ، وعصى ربَّه ، وخَسِرَ خسرانًا مبينًا .

وطرده ربنا من رحمته

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾

(الأعراف الآية ١٣)

* * *

وتولى اللهُ برحمته آدم ، فعلمه كل أسماء الموجودات ، والمخلوقات فى الدنيا .

ثم امتحن الله الملائكة ، فيما علمه آدم ، فقال لهم

﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة : الآية ٣١)

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة: الآيتان ٣٢/٣٣)

* * *

وكرَّم الله آدم ، فقال له : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف الآية ١٩)

* * *

والله المنعم ، يحب أن يُشكر على نعمته ، وأسمى مظاهر شكره ، طاعتُهُ ؛ فإن لم تكنْ طاعة ، فلا شكر ، ومن لم يشكر الله على نعمته ، سلبه هذه النعمة .

* * *

وكذلك كان آدم وزوجته ، حين أمرهما الله ألا يقربَا شجرةً بذاتها ، من أشجار الجنة ، وألا يأكلا منها .

وما كانت هذه الشجرة ، أطيب شجرة ، ولا أحسنَ ثمرة ! ولكنها حكمة الله فى الامتحان والاختبار ، والصبر والاصطبار ..

وكيف يُطيق إبليسُ الشيطان ، أن يرى هذين الزوجين ، يسعدان وينعمان فى جنة الله !

وكيف يصبر عليهما ، من دون أن يُنَغِّص عليهما ، ويُفْسد حياتهما ، ويُغْوِيهما ، ويُنسيهما تحذيرَ الله !

وكيف لا يُزيِّن لهما هذه الشجرة ، ويُغريهما بأنها شجرة ، من أكل منها ، أصبح من الملائكة المقرَّبين ، وأن مَن ذاقها ، عاش مُخلَّدا أبد الآبدين !

وكان ما حذَّر الله أن يكون ! ووسوس الشيطان لآدم ،ووسوس لزوجته حواءَ ، فأكلا من الشجرة ، ووقعَا فى الخطيئة ، وغرقَا فى المعصية ، وبدت لهما سوءاتُهما ، وانكشف عنهما سترُ الله ، فظهرت لهما جَسَامةُ العصيان . ودارَا فى الجنة ، يقطِفان من أوراقها وأغصانها ، ليسترَا ما انكشف منهما ؛ وطار صوابهما ، واطَّلع عليهما ربُّهما من عليائه ، ويقول لهما :

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(الأعراف : الآيتان ٢٢/٢٣)

والله غفور رحيم ، أرأفُ بعبده ، غفر له ، فلم يُهلكه ، ولكنْ عاقبه ، فطرده هو وزوجته من الجنة ، وطرد إبليسَ شريكهما ، وأنزلهما من علياءِ الجنة ، إلى دنيانا هذه .

إن اهتدينا ، رضى الله عنا ؛ وإن ضللنا سخط علينا ، وأشقانا . ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾

(طه الآيتان ١٢٣/١٢٤)

* * *

يا ويلَنا من الشيطان ! أُخرج آدم من الجنة ، وما يزال يُخرج أبناء آدم من طاعة الله ، ويبعدهم عن رضوانه !

أى شرٍّ فى الدنيا ؟ وأى جريمةٍ فى مجتمع ؟ وأى حربٍ ضروس ؟ وأى عقوقٍ من ابن لوالديه ؟ وأى فضيحة فى أسرة ؟ وأى شقاقٍ بين إخوة ؟

بل أى وسوسة فى صلاة ؟ بل أى شك فى عِرض ؟بل أى تحريض على قتل ؟بل أى إغراءٍ بثأر ، بل أى تساعٍ فى شرف ؟

ليست أى مأساة فى الدنيا . إلا كان لإبليس مبعثَها ، ومُصَمم خُطَّتِها ، ومنفِّذَها !

وأى مأساة ، أبشع وأشنع ، من مأساته مع ربه ، فى تحدِّيه وعصيانه !

معركةٌ بين الخير والشر . بين الخير فى طاعة الله ، وبين الشر ، فى الوقوع فى شَرَكِ إبليس الشيطان !

* * *

سبحانك ربى ؛ إننا نخاف غضَبك ، ونخشى عذابَك ؛ ماذا أعددتَ لنا من عقاب وعذاب !

كل جريمة آدم ، أنه أكل من شجرة ، وكل الجنة شجرٌ وثمر ، فطردتَه من جنتِك ،وَهبَطْتَ به إلى جحيم الأرض .

وهانحن أولاءِ ، يارب ، نقتل ونَفْسُق ،ونَعِيثُ فى الأرض فسادًا ! غفرانَك ربى ، فلا تؤاخذنا بجرأتِنا عليك ، ولا تكِلْنَا إلى إبليس ، حتى لا يَفتِنَنَا عنك .

وألهمْنَا الصوابَ حتى نعود إليك !